Journal of Al-Muqaddimah, Vol. 10 (2), 2022, 67-79
https://doi.org/10.22452/muqaddimah.vol10no2.4

معالم التعايش الإسلامي مع أهل الذمة في الأندلس (316–422هـ)

Features of Islamic Coexistence With the People of Dhimmah in Andalusia (316-422 Hijrah)

Faraj Murajia Mousa[*] , Faisal @ Ahmad Faisal Abdul Hamid[**]
Mohd Roslan Mohd Nor[***]

Abstract

This study examines Islamic dealings with Christians, Jews, and other religions during the time of the Umayyad Caliphate in Andalus. It aims to highlight Islamic coexistence with the people of the Dhimmah and to clarify openness with various peoples, races, and religious, sectarian, and sectarian affiliations. While achieving these two goals, it is evident that this study refutes the violation of human rights in Andalusia. The researchers used narrative, critical, and analytical approaches. To clarify historical facts and events, the results of this historical study demonstrate the interconnection between the inhabitants of Andalusia, provided practical professions and industries. for various segments of society, resulting in improving their social conditions. The findings further show that it encourages material gain, and the spread of the culture of social justice and freedom, and the era of the nobility as well as the different classes ended. Therefore, people became equal, and Muslims worked to eliminate the sources of corruption and deviant morals, such as sex, immorality, indulging in pleasures, cheating, lying, usury, alcohol, and sodomy. Hence, this coexistence contributed to bringing together the elements of civilization: energy, strength, space, and time. It also provided will and optimism, and these foundations raised Andalusian society better. Muslims provided the people of the Dhimmah with everything they needed and made them participate in shaping the features of Islamic civilization on the European continent.

Keywords : *Andalusia, Islamic coexistence, people of Dhimmah*

الملخص

تناولت هذه الدراسة التعامل الإسلامي مع النصارى واليهود وباقي الديانات الأخرى زمن الخلافة الأموية في الأندلس، وتهدف لإبراز التعايش الإسلامي مع أهل الذمة، وتوضيح الانفتاح مع مختلف الشُّعوب والأعْراق والانتماءات الدينية والطائفية والمذهبية، ومن خلال إبراز هذين الهدفين تتضح مشكلة هذه الدراسة في دحض انتهاك حقوق الإنسان في الأندلس، وقد اسْتخدم الباحث المنهج السردي والنقدي والتحليلي؛ لأجل توضيح الحقائق والأحداث التاريخية، كما تتضح نتائج هذه الدراسة التاريخية؛ حيث وفّر الترابط بين سكان الأندلس المهن

[*] Faraj Murajia Mousa, Department of Islamic History and Civilization, Academy of Islamic Studies, Universiti Malaya 50603 Kuala Lumpur, Malaysia. Email: frjamrajalmsraty@gmail.com
[**] Faisal @ Ahmad Faisal Abdul Hamid (PhD), Associate Professor at Department of Islamic History and Civilization, Academy of Islamic Studies, Universiti Malaya 50603 Kuala Lumpur, Malaysia. Email: faisal@um.edu.my
[***] Mohd Roslan Bin Mohd Nor (PhD), Professor at Department of Islamic History and Civilization, Academy of Islamic Studies, Universiti Malaya 50603 Kuala Lumpur, Malaysia. Email: roslan@um.edu.my

والصناعات العملية؛ لمختلف شرائح المجتمع، وترتب على ذلك تحسين أحوالهم الاجتماعية؛ من بحث الكسب وانتشار ثقافة العدالة الاجتماعية والحرية، وانتهى زمن النُّبلاء والطَّبقات المختلفة، وأصبح الناس سواسية، وعمل المسلمون على تجفيف منابع الفساد والأخلاق المنحرفة، كالجنس والفجور والانغماس في الملذات والغش والكذب والربا والخمر واللوط. وكذلك ساهم هذا التَّعايش في جمع عناصر الحضارة، الطاقة والقوة والمكان والزمان، كما وفر الإرادة والتفاؤل، ورفعت هذه الأسس المجتمع الأندلسي للأفضل، فقد وفَّر المسلمون لأهل الذمة كل ما يحتاجونه، وجعلوهم يشاركون في رسم معالم الحضارة الإسلامية في القارة الأوروبية.

الانفتاح الاجتماعي والثقافي على أهل الذمة:

احْتوى الدِّين الإسْلامي على أهم الأُسس الرئيسية في الانفتاح والتَّعايش مع مختلف الشُّعوب والأعْراق والانتماءات الدينية والطائفية والمذهبية، وقد تميز الدين الإسلامي بأنه أعطى عهود الأمن والأعمال لغير المسلمين داخل المجتمعات الإسلامية، وبذلك عاشوا مع المسلمين وأصبحوا يتمتعون بالحقوق والواجبات من غير تفرقة، باستثناء ما تفرضه العقيدة الإسلامية، وأصبح الدين الإسلامي يمثل نموذجا للتسامح والرحمة، وبذلك انْصهرت الطوائف والملل ضمن مجموعة اجتماعية واحدة تجمعها خصائص مشتركة تنسجم فيما بينها [1]. ولم يتخل المجتمع الإسلامي خلال عصر الخلافة الأموية بالأندلس عن التسامح والرفق واللين والرحمة والتواضع، كما تعاون اليهود والنصارى مع المسلمين في جميع أمور الحياة؛ كأنهم مجتمع واحد، وجمعت بينهم المحبة وحسن الخلق وتتساوى فيه الواجبات والحقوق [2].

وبذلك تميز التعايش الاجتماعي بين أهل الذمة والمسلمون بالترابط، ومنذ أن سيطر المسلمون على الأندلس؛ حتى أصبح سكان الأندلس من الجماعة الملتزمة بالطاعة والولاء للمسلمين، وهذا إن دلَّ فإنه يدل على صدق العمل في نشر الدين، وحماية البشر وسلامتهم، والذي يؤكد صدق نياتهم هو التمكين في القارة الأوروبية التي تبعد عن مركز القيادة العربية الإسلامية آلاف الكيلو مترات، قال الله ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ [3]

[1] محمود، خالد حسين، د.ت، **التسامح والتعايش بين المسلمين وأهل الذمة ببلاد الأندلس**، جامعة عين شمس، جامعة حائل، مصر، ص74

[2] عنان، **دولة الإسلام**، ج65/1

[3] سورة الأعراف، الآية 10

وقد تمتع أهل الذِّمة بالسّكنة في مواضيعهم السابقة التي كانوا يعيشون فيها، وشهدت أغلب المدن الأندلسية الاخْتلاط بين المسلمين والنّصارى واليهود والوثنيين، وبناءً على روح التّسامح أصبحت الأندلس تعتبر أهم مراكز اسْتقطاب الهجرة الوافدة، لأهل الذمة من أغلب الدول، حتى أصبحوا يمثلون الأغلبية في بعض المناطق الأندلسية، [4] نسبت لهم بعض المناطق والأماكن الأندلسية، ونذكر منها اليسانة التي نسبت لليهود، وورطة اليهود، وأيضا عرفت مدينة غرناطة [5] اليهود بسبب كثرت أعدادهم فيها [6].

وقد مارس أهل الذمة في الأندلس العديد من الأعمال الاقتصادية [7] وعملوا بالزراعة الأرض، حيث امتلكوا الكرم والحقول، وعملوا بالأنشطة التجارية والجزارة، كما قاموا بالعديد من الأعمال منها صناعة الخبز والخياطة والأحذية ودباغة الجلود والصّباغة، وتجليد الكتب، وأيضا مارسوا الأنشطة المختلفة بالأسواق، وكذلك كسب اليهود أهمية رائعة في الجوانب التجارية، كما جاء في الوثائق التاريخية بأن اليهود كانوا يملكون الحوالي التجارية داخل مدينة طليطلة، حيث حققوا مكاسب تجارية كبيرة، وبذلك أصبحوا من أغنى وأثرى الأندلسيين [8].

ولم تتقيد الخلافة الإسلامية بإجبار أهل الذمة بالسكن في الأماكن الخاصة [9]، بل على العكس من ذلك فقد منحتهم حرية التنقل والحركة والاستقرار، مما نتج عنه تجاور منازل المسلمين مع أهل الذمة، فقد أثبتت الأمثال الشعبية والحكايات والروايات ما يدل على حسن الجوار والأمانة والصدق بينهم، وقد كان لليهود مكان لعبادتهم يقع بالقرب من حي المسلمين، وكانوا يستأجرون المنازل من المسلمين والنصارى، مما يترتب عليه التواصل والاختلاف بينهم، وحينما كانت المجاورة أمراً معتاداً فاصلاً؛ أعطى الفقهاء الرُّخصة والجواز؛ ببناء اليهود منازلهم بجوار المسلمين، وأوجبوا احترام حقوق الجار أثناء المخالطة والتعاون المشترك، لا سيما قضاء الحاجات الذي يترتب عليه الرفق واللين والرحمة، كما ناقشوا وتناولوا مسائل دقيقة جداً تتحدث عن الجيران منها الأمور الاجتماعية والاقتصادية والثقافية [10].

---

[4] أنخل جنثالث بالنثيا، 1955، **تاريخ الفكر الأندلسي**، ترجمة حسين مؤنس، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ص1-2

[5] غرناطة: تتميز هذه المدينة بالجمال، وتعتبر من أقدم كور البيرة في الأندلس، وتبعد عن قرطبة 33 فرسخاً، فرج مراجع بن موسى، **تطور العلوم العقلية في عصر الدولة الأموية الأندلسية**، ص68

[6] خالد حسين محمود، المرجع السابق، ص76

[7] شلبي، محمود، 1992، **حياة طارق بن زياد فاتح الأندلس**، ط1، دار الجيل، بيروت، ص27-28

[8] خالد حسين محمود، المرجع السابق، ص76-77

[9] الكزبري، سلمى الحفار، 1993، **بصمات عربية ودمشقية في الأندلس**، وزارة الثقافة، دمشق، ص23

[10] خالد حسين محمود، المرجع السابق، ص77

تميز التعايش والتآلف بين المسلمين وأهل الذمة؛ بالاحترام والتقدير وحفظ الحقوق، فقد اقتسموا الماء فيما بينهم، وسمح المسلمون لأهل الذمة بالشرب من آبارهم والاستفادة منها في حياتهم اليومية، كما سمحوا لهم بالاستفادة من مياه المساجد، وأعطيت لهم الحقوق بملك الحمامات، ومن سمات التآلف والتراحم بينهم، شارك أهل الذمة المسلمين في أعيادهم الدينية واحتفالاتهم، وكان اليهود يوزعون على جيرانهم المسلمين الفطير في عيدهم اليهودي، وكانوا يلحقون جنائز المسلمين إلى المقابر، وقد بلغت درجة التعايش والتمازج حتى وصلت إلى القضاء والمحاكم فأصبح اليهود يستعينون بالمسلمين للشهادة في قضاياهم الشخصية ضد إخوانهم من اليهود، وقد ظهر واضحاً الترابط والتجانس بينهم في العمليات الاقتصادية والاجتماعية، فقد وضحت عملية الدين والسلف التي كانت تحدث بين المسلمين وجيرانهم من غير المسلمين؛ أفضل وأجمل أنواع الترابط والتعايش [(11)].

وبرزت أشكال التعايش الاجتماعي والتقارب بين أهل الذمة والمسلمين بالزواج والمصاهرة [(12)]، وأظهرت المصادر التاريخية بزواج المسلمين من نساء أهل الذمة [(13)]، فقد تزوج عبد العزيز موسى بن نصير من آجيلون أرملة روذريك ملك الأندلس السابق، كما تزوج Munuza الرئيس المسلم بالمسيرة البيرنية من لامبيجي ابنة الدوق والقائد اوديس الاكوتاني، وحدث هذه المصاهرة بين الطرفين في مختلف العصور الإسلامية بالأندلس [(14)]، وقد كانت عقود النكاح الكتابية مثل نكاح المسلمة، وصدرت الفتوى والتشريعات التي تنظم وترتب عملية الزواج بالكتابيات، وقد تأثر أهل الذمة بالعقود الإسلامية، من حيث عمليات تقسيم الدفع التي يقوم بها الرجل، فيبدأ بدفع المقدم في العقد ومؤخراً عند الطلاق أو الترمل [(15)].

وبرز التمازج الثقافي والتبادل الحضاري بين المسلمين والمسيحيين، فقد كتبوا الشعر باللغة العربية، وألف أسقف بمدينة قرطبة (ربيع بن زيد)؛ كتاباً تناول فيه العلوم الطبيعية، وقام جيرار الكريموني Gerhard von cremona بترجمته إلى اللغة اللاتينية، كما اختار الخليفة عبد الرحمن الثالث 955م مندوباً عنه من الأساقفة للقيصر أوتو الأكبر، وقد ساهم موقع الأندلس بالتمازج الحضاري بين الغرب والشرق بين المسلمين والمسيحيين، ومن الحكام المظفر ملك بطليموس، حيث أظهر 100 مجلة نحوية، تتناول وتحتوي على جميع علوم عصره، وأيضا المقتدر ملك مدينة سرقسطة، فقد كان فيلسوفاً وعالماً في الرياضيات والفلك، وأصبحت السِّمة التي تميزت بها الإدارة الأندلسية؛

---

(11) خالد حسين محمود، المرجع السابق، ص78

(12) عبد الحليم، د..ت، رجب محمد، **العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف**، دار الكتب الإسلامية القاهرة، ص114

(13) حلاق، حسان، 1999، **دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، دار النهضة**، بيروت، ط2، ص332

(14) ليفي بروفنسال، د.ت، **حضارة العرب**، ترجمة ذوقان قرقوط، مكتبة الحياة، بيروت، ص81

(15) خالد حسين محمود، المرجع السابق، ص79

ألا يتقلد أي مسؤول أو حاكم منصباً مهماً؛ إلا بعد أن يثبت كفاءته العلمية، ومن أنواع المؤثرات الشرقية بالتراث الأندلسي الشعر العربي، ونستكشف من خلالي أشعار دانتي Dante وفرنسيس الأسيزى Franz von Asslssi، كما برز الشاعر فراجا كابانا داتودي Fraja capana de toldl، ومديتشي Lorenzo de Medici هؤلاء وغيرهم من الشعراء، نظموا الأوزان الشعرية بالطريقة العربية، واستمرت هذه المؤثرات التراثية الشعرية واضحة في الأندلس وتوسكانا [16] والبندقية [17] وصقلية [18] وانتعش الشعراء كثيراً، [19]، حيث أقام أمير الشعر المعتمد مؤسسة لجمع الشعر والكُتاب كابن اللبانه وابن زيدون وابن عمار، وتميز الشعراء بأنهم يزينون الكلمات الشعرية بالوش الرقيق والكلاسيكي أو المحلى، وقاموا بتطوير الاستعارات الشعرية، ووجدت قبولاً لدى الأندلسيين [20].

ومثَّل الزِّي وجهاً جديداً؛ للتعايش والاختلاط بين المسلمين وغيرهم من الديانات الأخرى [21]، فقد تشبَّهت النِّساء النَّصرانيات واليهوديات بزي الإسلامي، ولم يوجد زي يفرِّق بين المسلمات وغيرهنَّ من هذه الديانات، وقد صدرت فتوى بإلزام أهل الكتاب؛ خصوصاً بالمدن الكبيرة بتبديل وتغيير أطرافهن، ووضع علامة تتميز بها، والغاية من ذلك التفريق بينهما في خصومتهم ومخاطباتهم وتصرفاتهم، كما تأثر المسلمون بزي أهل الذمة فقد كان الأمراء وأغلب الأجناد في الأندلس يرتدون الملابس النصرانية، ويتصفون بهم في سلاحهم وسروجهم، كما أخذوا عنهم المخازن التي تحفظ فيها البضائع تحت الأرض، خوفاً من التلف بانخفاض درجة الحرارة فيها [22]، كما تمكنت الحضارة الإسلامية في الأندلس من صناعة ثياب الحرير والسّترات بألوانها الجميلة، كما ابتكروا صناعة المعاطف والفراء المبطن لفصل الشتاء، وقد أعجبت النِّساء أهل الذّمة بالملابس الإسْلامية حتى أنهن تزيَّن بها، وأصبحت المرأة النَّصرانية أو اليهودية تتزين بالجبة والمجوهرات والأقمشة والنسيج الحريري، ولم يعرفن فنون الموضة إلا في الحضارة الإسلامية [23].

---

[16] توسكانا: هو إقليم بإيطاليا ويبلغ مساحته 23000 كيلو متراً

[17] البندقية: هي مدينة إيطالية

[18] صقلية: هي جزيرة تقع في إيطاليا، وتشبه المثلث متساوي الساقين، بالشرق تقع الأندلس وتحاذيها بالغرب بلاد إفريقية، ياقوت الحموي، أبي عبد الله البغدادي، 1977، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 418/3

[19] حسان حلاق، المراجع السابق، ص326-327

[20] ليفي بروفنسال، المرجع السابق، ص37

[21] الشطشاط، على حسين،2001، **تاريخ الإسلام في الأندلس كم الفتح العربي حتى سقوط الخلافة**، دار قباء، القاهرة، ص131

[22] خالد حسين محمود، المرجع السابق، ص79

[23] ليفي بروفنسال، المرجع السباق، ص57-92

ويعد الطعام مظهراً من مظاهر الترابط والتعايش الإسلامي مع أهل الذمة، فقد تميز هذا التَّقارب بتقديم اليهود لْلمسْلمين الفطائر مع قطع الدّجاج والهريسة الممزوجة باللحم المقطع والدَّقيق مع الفروج اليهودي ومحشو المدفون وحجلة يهودي، كما استجاب المسلمين لمطالب أهل الذمة في الأكل معهم [24].

المطلب الرابع: التَّعايش وتولي المناصب السِّياسية والإدارية لأهل الذمة

ومن أبرز تجليات التَّسامح والتَّعايش بين أهل الذّمة وأهل الإسلام؛ فتح المجال لهم بتولي الوظائف والمناصب كالوزارة والسّفارة والكتابة، ونخص بالذكر يحي بن إسحاق فقد تولى في عصر عبد الرحمن الناصر العمالات والولايات، وابن المرعزي النصراني، وإسماعيل بن نخذلة، وإبراهيم بن كامينال، فقد عمل هؤلاء وغيرهم في العديد من مناصب الدولة الأندلسية كجمع الجزية وترسيخ المصالحة والعمل بالمناصب السياسية، وقد كان لهذا التعايش والترابط والتسامح الذي أظهره مسلمو الأندلس لأهل الذمة والأخلاق التي تعامل بها جعلتهم يتأثرون كثيراً، بل وصدرت عنهم أفعال إيجابية كثيرة، قدموا من خلالها جزء من أموالهم بالإنفاق على الفقراء وطلاب العلم والمساجد، وهذه الأخلاق جعلت أهل الذمة يدخلون في الإسلام [25].

وكذلك تعتبر الكتابة والخط من المؤثرات العربية الإسلامية في الأندلس[26]، التي تجسد المحبة والتعايش، فقد بنيت الكنائس والمعابد لأهل الذمة على التقاليد المعمارية الإسلامية، وقد برز ذلك بنقش الكتابات على الأبواب والجدران والمباني الخاصة والعامة، فلما بنى باترو قصره (Alcazar) بناه على الشكل العربي الإسلامي، ومن القصور الأندلسية المبنية بالطراز العربي (الأنفانتادو) الذي يقع بوادي الحجارة وقصر (كازادل كردون cas del cardan) ببرغش، وهو من تصميم مهندس عربي يعرف باسم محمد بن سقوبية، وأيضا تأثر العديد من مهندسو فرنسا وإيطاليا وإنجلترا وألمانيا بالفن المعماري العربي الإسلامي، فنقلوه إلى دولهم، كما ساهم تجار جنوا [27] و البندقية ونور مبرج في التواصل بين الأندلس والمدن الأوروبية، وكذلك تواصل الحجاج الأوروبيون ــ أهل الذمة ــ في أثناء سيرهم إلى سانت ياجو بالمسلمين والحجاج المسيحيين في شمال الأندلس، فجاءوا ومعهم المؤثرات العربية الإسلامية [28].

---

[24] خالد حسين محمود، المرجع السابق، ص80

[25] خالد حسين محمود، المرجع السابق، ص83-84

[26] ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، 2004، **مقدمة ابن خلدون**، حققه عبد الله محمد الدرويش، ط1، دار البلخي، دمشق، 119/2

[27] تقع مدينة جنوا والبندقية في إيطاليا.

[28] حسان حلاق، المرجع السابق، 335-336

ومن أعْظم دُروس التّعايش والانْسجام السماح لأهل الذمة ببناء مؤسساتهم الدينية ودور عبادتهم [29]. واحترم المسلمون عقائد أهل الذمة، وكان لليهود بالمدن الأندلسية شنوعات وبيع [30]، نذكر بعضها كشنوعية مدينة قرطبة وبيعة سبت أخلج بمدينة قرطبة، وقد انتشر بالأندلس عدد من الكنائس، منها الكنيسة العظمى والكنيسة أولية وكنيسة روبية وكنيسة ماء وكنيسة الأسرى وكنيسة الغراب، والكثير من أديار الروهبان والكنائس المنتشرة بالقرى والأرياف، فقد كانت كنائس النصارى تتزين بالزخارف وبالنواقيس العالية [31].

ومن أسس التعايش والتواضع مشاركة أهل الذمة في الجوانب الإدارية والدينية [32]، فقد أقام النَّصارى نظام يُطلق عليه القماسة، وهو الذي يقوم بإدارته شخص يعرف بزعيم عجم الذمة وينتخبه النصارى؛ ليشرف على أعمالهم، وليكون مكلفاً لجمع الجزية، ومن أهم أسماء القماسة أرطباس قومس الأندلس وابن القلاس، وفضلاً عن بعض القومس الأعظم الذي كان يعمل من داخل الكنيسة بقرطبة، يوجد أيضاً قواميس صغار منتشرين في كافة القرى والمدن الأندلسية، وقد أُذن لأهل الذّمة بنشر وتأليف الكُتب العلمية؛ بأحكام الشّرع والدّين، وعملُوا في صناعة علوم الفلسفة والطب والهندسة والمنطق والحساب، كما قام يهود إشبيلية بإنشاء مكتبة خاصة تتواجد فيها المؤلفات والكُتب اليهودية من جميع أنْحاء الأنْدلس [33].

ومن أبرز فنون التّسامح السَّمح لأهلي الذمة؛ بإنشاء المحاكم الخاصة الملحقة لهيئة قضاتهم، تقوم بإصدار التّشريعات، بمساعدة الوكلاء والموثوقين والعدول، وهو ما تؤكد عليه وثائق الجنزة، حيث تبين بأن أغلب قضايا المدينة ينظر فيها بداخل المحاكم اليهودية، وفي بعض الأحيان كان يستجيب الفقهاء لأهل الذمة بالتقاضي أمام القضاء الإسلامي، بشرط أخذ الموافقة من رؤسائهم، خصوصاً في القضايا التي يظهر فيها خصومة أحد طرفي المشكلة مع القاضي أو عائلته، وهذا ما تطلب من الفقهاء بإلزام القاضي بإقامة مجلس القضاء بساحة المسجد، يدخل إليه الحائض واليهودي، وتعتمد الرسائل القانونية التي استخدمها أهل الذّمة في أحكامهم وتشريعاتهم من تأليف القساوسة والبطاركة، كما وضع علماء المسلمين الكثير من البنود القضائية، والتي تتمثل في المادة المدنية والإدارية والتجارية الواجب تباعها عند ورود قضية إسلامية أحد طرفيها من أهل الذمة [34].

---

[29] دويدار، حسين يوسف، د.ت، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**، ط1، الحسين الإسلامية، القاهرة، ص217

[30] كان يطلق على معابد زمن القرون الوسطى اسم شنوعات وبيع، هي التي تقوم فيها العباد لله

[31] خالد حسين محمود، المرجع السابق، ص82

[32] نعنعي، د.ت، عبد المجيد، **تاريخ الدولة الأموية في الأندلس التاريخ السياسي**، دار النهضة، بيروت، ص241

[33] خالد حسين محمود، المرجع السابق، ص92

[34] خالد حسين محمود، المرجع نفسه، ص82

وسُمح لأهل الذّمة بامتلاك مقابر خاصة لهم، تتوافق مع تقاليدهم وعقائدهم بدفن الموتى، وقاموا ببناء مقابر جديدة في ناحية مقبرة أم سلمة، وكانت مقابر اليهود تقع في طرطوشة وملقه وفي ماردة بنواحي وادي البرجس، وقد حصل أهل الذمة على حقوقهم الدينية والمدنية، ونالوا احترام الحكام الذين عملوا على حماية حقوقهم، ولم يتردد القضاة في استرجاع حقوق وممتلكات أهل الذّمة، التي أخذها منهم بعض المسلمون بغير وجه حق، وكانت الفتوى تصدر في مسائل الاجتماعية من طلاق أو موت أو زواج، وأيضاً في المسائل الاقتصادية والتجارية دون ظلم أو اضطهاد، كما أعطى موظفوهم إجازات خلال أعيادهم الدينية، وهذه من ضمن أسس التَّعايش والرَّحمة التي مهدت لبقاء التواجد الإسلامي لأكثر من 800 سنة [35].

ومن أهم عوامل التَّرابط والتَّعايش إقامة السَّفارات الدُّبلوماسية بين الأندلس وأهل الذِّمة، بالتَّواصل والتَّرابط مع سفارات دول العالم، فقد كانت سفارة سردينيا للأغْراض التِّجارية والسِّياسية، ووفد إلى الأندلس رسول من مدينة سردينيا؛ لأجل الألفة والصُّلح، وجاء معه التجار جلبوا الهدايا الغالية من الديباج والفضة، ونتج عن ذلك الفائدة والمنفعة، كما وفدت السَّفارة المسيحية الغربية عن طريق الإمبراطور أوتون الأول الكبير زعيم الشعوب بغرب أوروبا، وقد كانت السفارة بين الطرفين تتمثل في الراهب حنا الجورزيني مع الخليفة الناصر؛ مبنية على النقاش والتفاهم بالعلم والثقافة، وقد حدث بأن أرسل الناصر الأسقف المستعرب ربيع بن زيد إلى الإمبراطور الروماني، وحدث بهذا التواصل نتائج أثمرت بحل المشاكل السياسية والتعاون فيما بينهم [36].

وبذلك تميز التعايش الاجتماعي بين أهل الذِّمة والمسلمين بالترابط والمحبة، ومنذ أن سيطر المسلمون على الأندلس حتى أصبح سكان الأندلس من الجماعة الملتزمة بالطاعة والولاء للمسلمين، وهذا إن دلَّ فإنه يدل على صدق العمل في نشر الإسلام، وحماية البشر وسلامتهم، والذي يؤكد صدق نياتهم هو التمكين في القارة الأوروبية التي تبعد عن مركز القيادة العربية الإسلامية آلاف الكيلو مترات، قال الله ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ [37]، ولعل أهم النتائج التي توصل لها الباحث في هذا الباب؛ التعايش والتآلف بين المسلمين وأهل الذمة؛ وكذلك باقي الدِّيانات الأخرى، فقد ساهم هذا الترابط في ابتكار الطرق التجارة الداخلية والخارجية والأسواق والفنادق؛ حيث كانت مكاناً للْكسب والتَّعليم، وأصبح الجانب الاقتصادي يشكل أهم عناصر ميزانية الخلافة الأموية في الأندلس.

---

[35] خالد محمود حسين، المرجع نفسه، ص83

[36] عبد المجيد نعنعي، المرجع السابق، ص374-375

[37] سورة الأعراف، الآية 10

ونستنتج ممن سبق بأن التواصل والتعايش أظهر الأخلاق الحميدة التي من خلالها زال الخوف والفزع، فساهم هذا التَّعايش في جمع عناصر الحضارة، والتي تتمثل في الطاقة والقوة والمكان والزمان، فالتَّعايش وتوفير الإرادة والتفاؤل، رفعت هذه الأسس المجتمع الأندلس للأفضل، فقد وفَّر المسلمون لأهل الذمة كل ما يحتاجونه، وجعلوهم يشاركون في رسم معالم هذه الحضارة الإسلامية في القارة الأوروبية، وتميز الجيش الإسلامي المنتصر بفن التعامل والتواصل، فلم يلزمهم إلا التعاون بالحسنى، مبتعدين عن القتل والتدمير والاغتصاب، فلم يمارسوا أي وسيلة سيئة مع أهل الذمة، فالإعداد لنهضة استلزم منهم العمل بالقرآن والسنة، لتظهر معالم التعايش والانفتاح لتبيّن شخصية التواجد الإسلامي في الأندلس لطيلة 800 سنة، فقد شكل هذا التواصل مع أهل الذمة نمو الترابط والصداقة والثقة والانسجام فيما بينهم، حتى أصبحت هناك مصالح مشتركة، تعتمد على الضوابط الشريعة الإسلامية، التي تجبرهم على احترام العهود والمواثيق، وتحثهم على الدعوة لدين الله دون اكره، وتخبرهم على الثواب والجزاء للفوز في الدارين، كذلك نكتشف من خلال هذا الترابط؛ بأن من أهم عوامل النهضة الإسلامية الإيمان والتواصل مع الله، والابتعاد عن المحرمات واجتناب نواهيه، وبذلك اجتمع العمل الروحي والعقلي وساهما في الابتكارات العلمية، والتي تتمثل في الصناعة العملية والحرفية والتجارية، وقد اعتمد الجيش الإسلامي على التفاؤل والعدل والصدق والإخلاص في الأفعال والأقوال، كما اعْتمدُوا على التَّخطيط وتوزيع المهام والاخْتصاصات في الجوانب الاجتماعية والثّقافية والسّياسية والاقْتصادية، حتى انتشر الرّخاء والاسْتقرار بين مختلف مكونات المجتمع الأندلسي، وقد كان للاهتمام بالأيدي العاملة ومصادر المياه الجوفية بالغ الأثر في زيادة نمو الاقتصاد، فقد ابتكر المسلمون وسائل الري، فبنوا السدود وحفروا القنوات وشقوا الأنهار، وأقاموا القناطر والجسور، وبذلك اخترعوا خزانات مياه الشرب والزراعة، واستخدموها عند حدوث الكوارث والنوازل، أو بسبب انقطاع المطر أو التعرض للجفاف والقحط.

وقد ساهم الانفتاح والتعايش الإسلامي في الأندلس إلى ما يلي:

1- نشر ثقافة التعليم والتربية، وانتهى زمن التخلف والجهل، حتى أصبحت اللغة العربية من أهم اللغات في الأندلس، واستخدمت في التجارة والتعليم والعبادات.

2- كما ساعدت الثقافة في النشاط الإداري والتنظيمي في المكتبات والمساجد، فأصبح لطابعة الكتب وفهرستها تنظيماً رائعاً.

3- وفّر الترابط بين سكان الأندلس المهن والصناعات العملية؛ لمختلف شرائح المجتمع، وترتب على ذلك تحسين أحوالهم الاجتماعية من بحث الكسب المادي، بالإضافة لذلك توجد داخل هذه الوظائف مؤسسات لتعليم

الصناعات المختلفة، وانتشرت ثقافة العدالة الاجتماعية والحرية، وانتهى زمن النبلاء والطبقات المختلفة، وأصبح الناس سواسية.

4- وأيضاً عالجت الثَّقافة الظَّلم والطُّغيان، وجففت منابع الفساد والأخلاق المنحرفة كالجنس والفجور والانغماس في الملذات، والغش والكذب والربا والخمر واللوط.

5- وكذلك برزت ثقافة الأدب والفنون كوسيلة مهمة في التَّعارف والتَّقارب، وهو يعتبر من مظاهر الحياة الاجْتماعية، وساهم في إبراز الواقع الأندلسي، حيث أظهر الجوانب الاجتماعية والنفسية والفكرية، وهذا تطلب من شعراء الأندلس جمع المشاعر والعواطف لدى الناس، وجعلهم يعيشون فصولها وأحداثها، وبذلك ساهم هؤلاء الأدباء في التَّطور والنَّهضة الحضارية.

وفي ضوء هذا التَّفاعل والبناء، نتأمل جيداً في الفرق بين التواجد الإسلامي والقوطي في الأندلس، فقد سيطر القوط الغربيين على الأندلس، وكان سبباً لطلب الرزق، حيث كانوا يبْحثون عن الطَّعام والماء، فقد عانة مناطقهم نقصاً في المياه، بسبب انخفاض معدل سقوط الأمطار، وبتالي جفت الأنهر؛ وحرمُوا من المحاصيل الزراعية، وتنقَّلُوا من مكانٍ لآخر، حتى استقر بهم الحال في الأندلس، وسيطروا على شبة الجزيرة الليبيرية.

فقد عاشت الأندلس تحت السيطرة القوطية؛ وترتب على تواجدهم الجهل والظلم والطغيان، فقد حرمُوا من حقوقهم السياسية، فأصبح سكان الأندلس يعاملون معاملة العبيد، وبذلك حرموا من كافة حقوقهم الدينية والثقافية والاجتماعية والعقائدية، وعاشوا التَّخلف والفقر، وانْتشر بينهم الانحلال والجنس والسَّرقة والغش، أي بمعنى لازمتهم الأخلاق السَّيئة أثناء التواجد القوطي، ونتج عن ذلك انعدام الأمن والاسْتقرار، وانقطعت الأندلس من التواصل مع العالم الخارجي، بسبب عدم الإصدار والتصدير في المواد التجارية، وأيضاً انقطاع العلاقات السياسية والعلمية.

أما التواجد الإسلامي فقد استمر طيلة 8 قرون، حكموا خلالها الأندلس؛ وكان سبب دخولهم هي مساعدة سكان الأندلس من ظلم القوط، والأهم من ذلك نشر الدين الإسلامي في كل مكان، خصوصاً في هذا الجزء من القارة الأوروبية، ومنذ أن وطئت أقدمهم الأندلس؛ وهم يتعامون بالتواضع والرفق، ولم يفعلوا الأشياء المحرمة، فيختلف من كان هدفه حماية البشر، ومن هدفه فرجه وبطنه، وعندما تمكن الجيش الإسلامي من هزيمة القوط الغربيين، بزرت أخلاقهم وصفاتهم الطيبة، مع أنهم كانوا من غير عائلاتهم؛ إلا أنهم لم يعْتصبوا النِّساء، وتحكموا في غرائزهم أمام محاسن النساء الجميلات؛ بالعلاقة والصلة مع الله، فإذا تغير الزمان والمكان، فلا يمكن للقلوب أن تتغير مع خالقها، فساهم المسلمون في إحياء الأندلس من جديد، فأصبحت المراكز العلمية تستقبل طلاب العلم، وبدأت النهضة في مختلف المجالات العملية، فاخترعوا صناعة الملابس التي تحميهم من برودة الشِّتاء، كما ابتكروا صناعة وتجليد الكتب

التي تعتبر مصادر التعليم، وكان لصناعات المهنية دور كبير جداً في حياة الأندلسيين، كانوا يستخدمونها في حياتهم اليومية، وكذلك استخدموا الموانئ البحرية حتى أنهم تواصلوا مع العالم الخارجي بالإصدار والتَّصدير، وأصبحت الأسْواق الأندلسية عامل جذب للمُسْتثمرين من داخل وخارج الأندلس، واصبح سكان الأندلس يشغلون بعض السَّفارات في الدول الخارجية، ولم يُحْرمُوا من حقوقهم الدِّينية والاقتصادية والاجْتماعية، فتمتع الأندلسيون في ظل الحضارة الإسلامية بالازْدهار والتَّقدم.

الخاتمة

وأخيراً واستناداً إلى ما سبق تتبيَّن نتائج هذه الدراسة، حيث تميَّزت بالتَّسامح والانفتاح الإسلامي مع أهل الذِّمة بحفظ الحقوق والواجبات، واستمر عصر الخلافة في الأندلس بالاستقرار السياسي، وبذلك تواصل التعايش بين جميع الأعراق والانتماءات الدينية والطائفية، وأصبح الدين الإسلامي يمثل نموذجاً للتَّسامح والرحمة والرفق والتواضع، وبذلك انْصهرت الطوائف والملل ضمن مجموعة اجتماعية واحدة؛ تجمعها خصائص مشتركة، وتنسجم فيما بينها.

وعلاوة على ذلك فقد مارس أهل الذمة في الأندلس العديد من الأعمال الاقتصادية وعملوا بزراعة الأرض، حيث امتلكوا الكرم والحقول، وعملوا بالأنشطة التجارية، كما قاموا بالعديد من الأعمال الصناعية، كصناعة الخبز والخياطة الملابس والأحذية ودباغة الجلود والصّباغة، وتجليد الكتب، وأيضا مارسوا الأنشطة المختلفة بالأسواق، وكذلك كسب اليهود أهمية رائعة في الجوانب التجارية، كما جاء في الوثائق التاريخية بأن اليهود كانوا يملكون الحوالي التجارية داخل مدينة طليطلة، حيث حققوا مكاسب تجارية كبيرة، وبذلك أصبحوا من أغنى وأثرى سكان الأندلسيين.

وكذلك ساهمت الجوانب الثقافية في إزالة التخلف والجهل، وعالجت الظَّلم والطُّغيان، وجففت منابع الفساد والأخلاق المنحرفة كالجنس والفجور والانغماس في الملذات والغش والكذب والربا والخمر واللوط، وأصبحت اللغة العربية من أهم اللغات في الأندلس، واسْتُخدمت في التجارة والتعليم والعبادات، كما ساعدت الثقافة في النشاط الإداري والتنظيمي في المكتبات والمساجد، فأصبح لطابعة الكتب وفهرستها تنظيماً رائعاً، وأيضاً برزت ثقافة الأدب والفنون كوسيلة مهمة في التَّعارف والتَّقارب، وهو يعتبر من مظاهر الحياة الاجْتماعية، وساهم في إبراز الواقع الأندلسي، حيث أظهر الجوانب الاجتماعية والنفسية والفكرية، وهذا تطلب من شعراء الأندلس جمع المشاعر والعواطف لدى الناس، وجعلهم يعيشون فصولها وأحداثها، وبذلك ساهم هؤلاء الأدباء في التَّطور والنَّهضة الحضارية.

وفّر الترابط بين سكان الأندلس المهن والصناعات العملية؛ لمختلف شرائح المجتمع، وترتب على ذلك تحسين أحوالهم الاجتماعية من بحث الكسب المادي، بالإضافة لذلك توجد داخل هذه الوظائف مؤسسات لتعليم الصناعات المختلفة، وانتشرت ثقافة العدالة الاجتماعية والحرية، وانتهى زمن النبلاء والطبقات المختلفة، وأصبح الناس سواسية.

REFERENCES

1. Al-Qur'ān Al-Karīm

2. Mahmūd, Khālid Husayn, D.T, *Al-Tasāmuh wa Al-Ta'āyush bayna al-Muslimīn wa Ahli al-Zimmah bi Bilād al-Andalus*, Jāmi'ah 'Ain Shams, Jāmi'ah Hā'il, Mesir.

3. 'Anān, Muhammad Abdullah. *Dawlah al-Islām*, Edi. 4, al-Khanjiy, al-Qāhirah, J. 65/1 (1997).

4. Abkhal Jinthalta Banthiya. *Tārikh al-Fikr al-Andalusiy*, Tarjamah Husayn Mu'nis, T. 1, Maktabah al-Thaqāfah al-Dīniyyah, al-Qāhirah (1955).

5. Faraj Murajia Mousa. *Tatawwura al-'Ulūm al-'Aqliyyah fi 'Asr al-Dawlah al-Umawiyyah al-Andalusiyyah*, Risalah Mājistīr, Jāmi'ah Al-Sultan Idrīs, Malaysia. 2020.

6. Shallabiy, Mahmud. *Hayāt Thāriq bin Ziyād Fātih al-Andalus*, T. 1, Dār al-Jīl, Beirut (1992).

7. Al-Kazbariy, Salma al-Haffār. *Basomāt 'Arabiyyah wa Dimasyqiyyah fi al-Andalus*, Wizārah al-Thaqāfah, Dimasyq (1993).

8. 'Abdul Halīm, D.T, Rajab Muhammad. *Al-'Alāqāt bayna al-Andalus al-Islāmiyyah wa Isbāniya al-Nasrāniyyah fi 'Asr Bani Umayyah wa Mulūk al-Tawā'if*, Dār al-Kutūb al-Islāmiyyah al-Qāhirah.

9. Lifī Brofinsāl, D.T. *Hadhārah al-'Arab*, Tarjamah Zauqān Qarqūd, Maktabah al-Hayāt, Beirūt.

10. Hallāq, Hassān. *Dirāsāt fi Tārikh al-Hadhārah Al-Islāmiyyah*, Dār al-Nahdhah, Beirūt (1999).

11. Yāqut al-Humawi, Abi Abdillah al-Baghdādi. Mu'jam al-Buldān, Dār Sādir, Beirut, J. 3 (1977).

12. Al-Syatsyat, 'Ali Husayn. Tārikh al-Islām fi al-Andalus Kammi al-Fath al-'Arabiy hatta Suqūt al-Khilāfah, Dār Quba', al-Qāhirah (2001).

13. Ibnu Khaldun. Muqaddimah Ibnu Khaldun, Haqqaqahu Abdullah Muhammad al-Darwish, Edi. 1, J. 2 Dār al-Balkhi, Dimasyq (2004).

14. Duwīdār, Husayn Yusuf. Al-Mujtama' al-Andalusiy fi Al-'Asr al-Umawiy, Edi. 1, al-Husain Al-Islāmiyyah, al-Qāhirah.

15. Na'na'i, Abdul Majīd. Tārikh al-Dawlah al-Umawiyyah fi al-Andalus Al-Tarikh al-Siyāsiy, Dār al-Nahdhah, Beirūt.